مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (11) العدد (02) السنة (2024)
الصفحة 256-272

الاستشراق من النقد الديني والسياسي إلى البديل الحضاري: محمد البهي، أنور عبد الملك،حسن حنفي أنموذجا

Orientalism from Religious and political criticism to the civilizational Alternative:theexample of M.Albahi,A.Abdelmalek,and H.Hanafi.

بعيطيش محمد*،بوصالحيح حمدان 2

1جامعةالجزائر (2).مخبرالجماليات والفنون والفلسفةالمعاصرة.

mohamed.baitiche@univ-alger2.dz

2جامعة زيان عاشورالجلفة(الجزائر) bousalhihh@yahoo.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2023/07/10
تاريخ القبول:2024/06/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص

تعدظاهرةنقدالاستشراققديمةفيتاريخالفكرالعربي،بدايةمنمفكريالنهضةإلىوقتناالحاليحيثأخذالاستشراقحيزاواسعامناهتماماملمفكرينالعرب،وذلكلأنهيندرجبصورةمباشر محمدالبهي،أنورعبدالملك،حسنحنفي،والبحثفيالدوافعالتيتأسسعليهاموقفهؤلاء. ومننتائجالمتوصلإليهاأنتعاملهؤلاءالمفكرينمعالاستشراقخاضعلتكوينهمالمنهجيوا

الكلماتالمفتاحية: الاستشراق،المركزيةالغربية،الاستغراب،الديني،السياسي،الحضاري.

ABSTRACT

The phenomenon of criticism of Orientalism is ancient in the history of Arab thought, from the thinkers of the Renaissance to our present time, when Orientalism took a wide range of attention from Arab thinkers, because it falls directly within the problem of the debate between the self and the other, but this criticism took multiple forms, depending on the different approaches and motives. From this, this article aims to address themethods of criticism of Orientalism by three prominent thinkers: Muhammad al-Bahi, Anwar Abd al-Malik, and Hassan Hanafi, and to examine the motives on which the position of each of these was based. One of the results reached is that these thinkers' dealings with Orientalism are subject to their methodological and cultural formation, just as their intellectual projects were multiple, including religious, political, and civilized.

Keywords: Orientalism, Western centralism, Occidentalism, religious,political,civilizational.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

منذصدمةالحداثةإلىعصرناالحالي،كانالاستشراقحاضرابشكلأساسيفيوعيالمفكرينالعرب، و في موقفهممنالذات ومنالآخر،كانحاضرا كذلك فيقضاياالتراث،وقضاياالنهضةوسؤالالتقدموالتخلف .
وأدىتلقيالنصالاستشراقيإلىحالةمنالاستقطاببينهؤلاءالمفكرين،فيمواقفهممنه،وفيأساليبتعاملهممعأطروحاته،وهذاماأدىبدورهإلى تشكلخطابنقديعربيللاستشراقيختلفباختلافدوافعأصحابهوتوجهاتهمالفكرية،باتهوبدورهحقلاللنظر،ومجالاللبحثوالنقدلدىكثير منالباحثين،وبحثناهذايندرجضمنهذاالمجال،حيث يتناول بالدراسة ثلاثة من أهم المفكرين العرب المعاصرين، هم؛ "محمد البهي"، "أنور عبد الملك"، و"حسن حنفي"، حيثيحاولأنيجيبعنالسؤالالتالي : ما هي الدوافع التي أدت إلى نقد الاستشراق لدى شخصيات الدراسة؟ وما هي الأسس التي قام عليها الخطاب النقدي لدى كل واحد منها؟.

ويقومهذاالبحثعلىفرضيتينأساسيتينهما:

– أنمواقفالمفكرينالعربمنالاستشراقفي كثير من جوانبها تتحرك وفق دوافع أيديولوجية خالصة.

– أنّكل واحد من هؤلاء المفكرين: "محمد البهي"، "أنور عبد الملك"، "حسن حنفي"، يمثل على الترتيب اتجاها مغايرا في خطاب نقد الاستشراق، بين الديني، والسياسي، ثم الحضاري.

ونهدفمنخلالهإلىالكشفعنالدوافعوالتوجهاتالتيتحكمتفيالخطابالنقديللاستشراق،ومنثممعرفةماتنتجعنهامناتجاهاتفيالنقد،وتبيان أسسها، ومدىصلاحيتها . واستخدمنالأجلذلكمنهجاتنوعبينالتحليلوالنقدوالمقارنةليتناسب معطبيعةهذاالموضوع،بتحليلآراءومنهجكلمفكرفيالتعاملمعالاستشراق،ومنثمنقدهذهالآراءوالمناهج،وكذلكالمقارنةبينهالمعرفةا لفروقوالتحولاتالتيحدثتبينكلموقفوآخر.

2.الاستشراق، المفهوم والتلقي في الفكر العربي

وردفيمعاجماللغةالعربيةالحديثة،استشرق،يستشرق،استشراقامعنى: طلبعلومالشرقولغاته.(إدريس 1990، 722)والاستشراقهو:

«دراسة كلشيءعنالشرقلغاتهالقديمةلهجاتهوتاريخهوأساطيرهوطباعهوعاداتهوأديانه،أماالمستشرقفهوالعالمالمتطلعمنمعرفةالشرقولغا تهوآدابه».(الزيادي 2002، 17)

ويتسم هذاالتعريف بأنهحياديلايجدقبولاعندكلالباحثين،فهناكمنيعرّفالاستشراقبأنه :
«دراساتأكاديميةيقومبهاغربيونكافرونمنأهلالكتابوجهخاصللإسلاموالمسلمينمنشتىالجوانبعقيدةوشريعةوثقافةوحضارةوتاريخاًون ظماًوثرواتوإمكانيات؛بهدفتشويهالإسلام،ومحاولةتشكيكالمسلمينفيهوتضليلهمعنهوفرضالتبعيةللغربعليهم ومحاولةتسويغهذهالتبعيةبدراساتونظرياتتدَّعيالعلميةوالموضوعية،وتزعمالتفوقالعنصريوالثقافيللغربالمسيحيعلىالشرقالإسلامي».(غراب 1990، 7)

كما أن هذا
التعريفيفصحعنموقفسلبيمنالاستشراق،ويكشفعنإدانةواضحةله،وعلىالنقيضمنذلكنجدمنالباحثينمنينبريللدفاععنالاستشراقوأ

عمالهبذكرأفضالهعلىالمسلمينفيإحياءتراثهمتحقيقاوطبعاوفهرسةونشرا،والتعريفبالثقافةالإسلاميةونشرمفاهيمهابينالمثقفينبكلالل غات.(العقيقي 1964، 7)

و من خلال هذهالتعريفات يتضح التباين الحاصل
فيمواقفالمفكرينالعربمنالاستشراق،وهوتباينيراهبعضالباحثين،بينالتوجسالذييفضيإلىرفضالاستشراقوإنتاجهرفضامطلقا،انطلاقامن التشكيكفيدوافعهونواياه،وربطهابالاحتلالوالتبشيروالغزوالثقافي،وهذاماظهرعندروادالفكرالإسلاميمثل: " محمدالبهي"، "عمرفروخ"، " محمدالغزالي"، " أنورالجندي"، " محمودشاكر"، " عبدالحميدغراب"، " عبدالرحمانحسنحبنكةالميداني" ... الخ،ويضافإلىهؤلاءمفكرونلاينتمونإلىنفسالمدرسةالفكرية،ولاينطلقونمنالمرجعياتذاتها،ومنبينهؤلاء " إدواردسعيد" مثلا،وفيمقابلالتوجسالذيطبعموقفهذهالفئةمنالمفكرين،ظهرتيارآخرمنالمفكرينيعبرعنانبهارهبإنتاجالمستشرقينوقبولآراءهم،ويتص دللدفاععنهم،ويدعوإلىالأخذعنهم،وتبنيكثيرمنأطروحاتهمومواقفهم،ومنأشهرهؤلاءالمفكرينذكر: "زكيمبارك"، "طهحسين"، "يوسفأسعدداغر"، "نجيبالعقيقي"، "عبدالرحمانبدوي" وآخرون.

وبينالفئتينالسابقتين،فئةاتخذتموقفاوسطا،حيثقبلتقسمامنآراءالمستشرقين،ورفضتقسماآخروفصّلتفينقدأعمالهم،وهذاالموقفيصدر عنمتخصصينفيالدراساتالاستشراقية،غلبواالعلميةعلىالعاطفة،وتعاملوامعكلحالبماياسبهامنالقبولأومنالرفض،ومنهؤلاء "محمودحمديزقزوق"، "محمدخليفةحسن""محمدكردعلي"، "رضوانالسيد".(النملة 2013، 26،34)

ولقدتشكلمنتراكمكتاباتهؤلاءالمفكرينحولالاستشراق،خاصةمنهمأولئكالذينوقفواموقفارافضاأووسطا،مايمكنأننطلقعليه "خطابنقدالاستشراق"
فيالفكرالعربي،كانهذاالخطابفيذاتهموضوعاللنظرعندعدةباحثين،منحيثمناهجهودوافعهفيالنقد،ومنبينهؤلاءالباحثينالذياهتمواف يبعضكتاباتهم،بنقدنقدالاستشراق،المفكرالمصري " فؤادزكريا" الذيذهبإلىأنّالموقفالعربيالناقدللاستشراق،انقسمإلىاتجاهينااتجاهالنقدالدينيالذيأخذطابعادفاعيا،غابفيهالعنصرالسياسي،أوكانها مشيامرتكزأساساعلىالبعدالديني،ومنروادهذاالاتجاهيضع؛ " محمدالبهي"،و"محمودشاكر". واتجاهالنقدالسياسي– الحضاريالذيأخذفيهالبعدالسياسيالحضاريالمكانالرئيسداخلأطروحاتأصحابه،ويدرج " فؤادزكريا" كتابات؛ "أنورعبدالملك"و"إدواردسعيد" ضمنهذاالاتجاه.(زكريا 2011، 7،8)

ومنالتقسيمالذيقدّمهالمفكرالمصري " فؤادزكريا" للموقفالعربيمنالاستشراق،يتضحأنّالمفكرينالذينينتمونإلىالفئتينسواءذاتالبعدالديني،أوذاتالبعدالسياسي– الحضاري،متفاوتونثقافياوعلميا،لذافإنهلامانعمنعرضهماومقابلتهالبيانمضامينهامنخلالنماذجلمفكرينهم: منالفئةالأولى،فئةالنقدذوالبعدالديني؛ " محمدالبهي"،ومنالفئةالثانية،فئةالنقدالسياسيالحضاري؛ "أنورعبدالملك"،ونضيفإليهمافئةأخربوإنبدتمتداخلةمعالفئةالثانية،وهيفئةالنقادأصحابالمشاريعأوالبدائلالحضارية،ونقصدمنهؤلا ءبالخصوصالمفكرالمصري "حسنحنفي" صاحبمشروعالاستغراب.

3.البعد الديني في نقد الاستشراق عند محمد البهي

ينتميالمفكرالمصري " محمدالبهي" (1905-1982م)
إلىالإحيائيينالإسلاميينالذينتميّزتكتاباتهمبدايةمنالقرنالمنصرمبالعداءالشديدلثقافةالغرب،والاشتغالعلىالأبحاثذاتالصلةبالهويةالإ سلامية،وكهؤلاءالإحيائيينوعلىنفسالمنوال، كانالاستشراقميدانارئيسااستهدفه " محمدالبهي"
فيكتاباته،حيثرأىأنّهناكصلةواضحةبينالاستشراقوالتبشيروالاستعمار،فعملاالمستشرقينوراءهسلطةالكنيسة،وسلطةالدولةالعلمانية معا،لذلكيعرّفهبأنه:«بحوثودراساتفيقضاياالتراثالإسلامي: فيالعقيدة.. وفيالفقهوالشريعة.. وفيالتاريخالسياسي.. وفيالإمامةوالخلافةوفيالفلسفة.. وفيالاجتماع.. الخ.
قامبهاقساوسةولاهوتيونبتكليفمنالكنيسةأومنوزاراتالخارجيةللدولالغربيةأوالشرقيةعلىالسواء،ثمدخلاالاستشراقالآنمنليسواقساوس ةولاهوتيون،وإنمامتخرجونفيالجامعاتومسيرونفيبحثهمطبقاالمنهجالاستشراقالعام».(البهي 1981، 30)

فإذاكانالتبشيريهدفإلىتمكينالأوربيالمسيحيمنالبلادالإسلامية،بدافع«التنفيسعنهزيمةالحروبالصليبيةأوالرغبةفيالانتقاممنالإسلاملأ نهقامفيالقرونالوسطفيوجهالمسيحية وتوهينالمسلمينوتمزيقهم في التوجيه والاتجاه »(البهي 1973، 527)،فإنالاستشراقكمايرى"البهي"
تدفعهالأسبابذاتها،وهكذافإنهيقررأنّالسببالدينيهوالسببالرئيسيوالمباشرالذيدعاالأوربيينإلىالاستشراقحيثلعبالمستشرقوندورامهمافي إقناعزعماءهمالسياسيينبأنّالمسيحيةهيالمنفذالذيسيمكنالغربمنالتوغلفيالشرقوبسطنفوذهعليهفالاستشراققامفيبدايتهعلىأكتافالمب شرينوالرهبانثماتصلبالاستعمار.(البهي 1973، 533)

ورغمأنّالاستشراقأخذطابعاًأكاديمياًعلميا،واستخدموسائلمثلالكتاب،والمقالفيالمجلاتالعلمية،وكرسيالتدريسفيالجامعة،والمناقش ةفيالمؤتمرات " العلمية"
العامة،بينمابقيتدعوةالتبشيرفيحدودمظاهرالعقليةالشعبيةالعامة،باستغلالالمدارسودورالحضانة،ومراكزالأيتام،والمستشفياتوالأعم الالخيرية،إلاأنّهذاالاختلافالذييبدوفينشاطكلمنهما،سببهكمايرى " محمدالبهي"
التحولاتالتيشهدهاالغربالمسيحيعقبحركةالإصلاحالديني،وكذلكصفاتكلمنالمستشرقوالمبشر،والفئةالتييتوجهإليهاكلمنهما.

لقددفعالهدفالدينيأوكماأطلقعليه " البهي" " رغبةالتنفيسعنالحقدالصليبي"
الاستشراقإلىمهاجمةمادةتوجيهالشرقالإسلاميالمتمثلةفيالإسلاموتراثه،فعملعلىتهيئةسكانالعالمالإسلاميلقبولوالاستسلامله،عنط ريقإضعافالقيمالإسلاميةمنخلالشرحتعاليمالإسلاموميادئهشرحايضعفتمسكهمبه،ويشككهمفيصلاحيتهكمنهجيوافقطبيعة الحياةالمعاصرة،ومنخلالتمجيدالقيمالغربيةالمسيحيةوتأكيدمناسبتهالرفاهيةالإنسانوتحرره،ومنثمتأكيدرجاحةالتوجيهالغربيوسموال قيمالغربيةفيالسلوكالفرديوالجماعي.
ولميكتفبإضعافالمسلمينوقيمهمفحسب،بلعملعلىالسخريةوالتهكمبنبيهموالتشكيكفيرسالتهاالألوهية،وهذامايفصحعنحقدعلىا لمسلمينومعتقداتهم،ومنجملةالدعاوىالأفكارالتيرى " محمدالبهي"
أنهاتدخلضمنجهودالاستشراق،وتتقاطعمعأهدافالمبشرينللدينالمسيحيدعاوىمثل:

- القرآنكتابمسيحييهودينسخةمحمد.

- الإسلامدينماديلاروحيةفيه.

- الإسلامدينالعنفوالتحريضضدغيرالمسلمين.

- أناالفلسفةالعربيةفكريوناني،كتبأحرفعربية.

- عدمصلاحيةاللغةالعربيةالفصحىوالدعوةإلىاستخداماللغةالعاميةواللهجاتالدارجةبأحرفلاتينية

- الدعواتالأممية،مثلالدعوةإلىإحياءالفرعونيةفيمصر،والآشوريةفيالعراق،والبربريةفيشمالأفريقية .

ويرى " البهي" أنّهذهالأفكاروالدعاوىتأتيفيصورةعناوينكبيرة،مثل: بشريةالقرآن،الإسلامدينلادولةالدينخرافة،الدينمخدّر،وتجدسندافيمذاهبغربيةهدّامةتستهدفالإسلامفيمبادئهوتطبيقاتهكالمارك سيةوالعلمانيةوالماسونيةوالإلحادالعلمي...الخ،تخفيخلفهامصالحخاصةتخدمالاستعماروتعملعلىاستمرارهومساعدتهفياستغلالط اقاتالشعوبوإمكانياتهاالاقتصاديةمنموادأولية.(البهي 1973، 5،6)

ويحذّر هذا الأخيرمنتيارمنالمفكرينالمسلمين،يعظمالمستشرقينويؤيدأفكارهم،حتىأصبحمرآةونتيجةلهأطلقعليه "تيارالتجديدوالمجددين"،أو "الفكرالإسلاميالمغرب"،يسيرفياتجاهالفكرالغربي،وتوجههالدراساتالإسلاميةفيالجامعاتالغربيةوالاتجاهالعلمي،ويذكرمنهذاالتيار منالمفكرين " طهحسين" صاحب " مستقبلالثقافةفيمصر"،ويتهممنخلال تتبع نصوصه بالارتماءفيأحضانالثقافةالغربية،والسيرسيرالأوروبيينفيالبحثوالتعليموالسلوكوسائرشؤونالحياة

ويشيرأيضاإلىكتاب " عليعبدالرزاق" " الإسلاموأصولالحكم" فيهاجمشعاره " الإسلامدينلادولة" الذيأطلقه – كمايرى- بتأثيرمندراساتالمستشرقينوآراءالقساوسةالصليبيينواليهودالتيتصدرعنأغراضخاصةلاعنبحثنزيه،وهذايفسّرحسبهاحتفاءالباحثينال غربيينبالكاتبوالكتاب.

و يرىأنّالفكرالغربيتسرّبأيضافيصورةالتجديدمنخلالالتفكيرالوضعي،ومثّللذلكبكتاب " خرافةالميتافيزيقا" لصاحبةزكينجيبمحمودالذياعتبرهنموذجالإنكارقيمةالدينفيالتوجيهبتأثيرمنالفكرالماديالأوروبي.

وامتدتأثيرالفكرالغربيإلىالأدبعندماشاعبينبعضالكتابشعار " الدينمخدر" وهوشعارالشيوعيةوالماركسيةحيثعبّرعنههؤلاءوتبنوهعنغيروعيتامبه،فعملواتحتهذاالتأثيرعلىتوهينأمرالدينورجاله،وإبعادهعنمجالالإن سانوالجماعة.(البهي 1973، 626)

والمفكرونهؤلاءومنحذاحذوهم،منتيارالتجديد،يراهم " البهي" مجردأتباعيرددونأفكارالمستشرقينوآراءالمذاهبالغربيةالهدامة،لاأصحابحكمونقد،يعوزهمبناءالفكرونقده،وبذلكتلازملديهنقدالاست شراقونقدهم،فارتبطنقدالخارج (الاستشراق) بنقدالداخل (الحداثيينالعرب)،وهذاديدنمعظمالإحيائيينالإسلاميينفيكتاباتهمالتييدافعونفيهاعنالهويةالإسلامية.(شمس دت، 626)

إنّالمذاهبالغربيةالهدامةوعلىرأسهاالاستشراق،ومادارفيفلكهمندعواتالتجديدالسابقةالذكر،تتطلبمواجهةأطلقمنخلالها
"محمدالبهي"
دعوتهإلىفكرةالإصلاحالديني،الذييعنيبهالسعيإلىالردالاعتبارللقيمالإسلامية كأداةتوجيهفيحياةالإنسانالمسلم،وذلكبدفعالشبهات عنها،وإخراجهامنحالةالركودلتناسبحياةالمسلمالمعاصروتستجيبلتطلعاته. ويتطلبذلككمايرى:

- تنقيةالحياةالمصريةوالعربيةوالإسلاميةمنرواسبالاستشراقوالتبشير.

- أنيكوننللأزهردورفيمواجهة كتبالمستشرقينوبحوثهمفيمجلاتهمومؤتمراتهم،والردعلىمايلقىفيهامنأفكارودحضها

-

إقامةدائرةمعارفإسلاميةيكتبهاعلماءمسلمونتمكنونفيفهمالتراثالإسلاميمنجميعبلادالمسلمينتكونبمثابةمرجعللجوانبالثقافيةالمت عددة.

- وضعقاموسللفقهالإسلاميعلىنمطالقواميسفيالعلوموالفلسفةوالاقتصاد

-

إصدارمجلةتعنىبتتبعبحوثالاستشراقالتيتصدرعنالغربالصليبيفيمايخصالشرقالإسلاميوتراثهووضعيةالمسلمينفيالوقتالحاضروتوجيهه م.(البهي 1973، 6)

إنّمعارضةمحمدالبهيالحادةللاستشراق،نموذجواضحعلىموقفالرفضالذيصنعصورةالمستشرقكمبشروباعثلأفكارمسمومةتعملعلىتقو يضالهويةالإسلاميةومحوها،صورةتنبنيعلىرفضمبدئيوتضادمطلقيأخذطابعاإعداميا،ويضيقالخناقعلىالمستشرقيندونتمييز،ويغلقالمخ ارجوالمنافذأمامهم،ويحملهمجملةتهمةتشويهالإسلام،والتأثيرسلباعلىالفكرالإسلاميالحديث،وهذاالهجومالحادينسحبإلىأولئكا لمفكرينمندعاةالتجديدكماأطلقعليهمفيكتاباته،الذينينسجوندعواتهموآراءهمعلىمنوالالمستشرقين.

ولعلهذاالموقفالحاديعكسطبيعةالتحولاتالثقافيةوالأيديولوجيةفيالشرقالإسلاميمنذبدايةخمسينياتالقرنالعشرين،والتيعرفتصعودالأف كاروالأيديولوجياتالعلمانيةوالماركسيةوتغلغلهابينقطاعكبيرمنالمثقفينحينهاوهيأفكارامتدتأثيرهاإلىالوسائلالإعلاموالمؤسساتالدولةا لثقافية،وفتحتالبابلسجالاتبلغتحدالنزاعوالصراعبينأصحابهاوالمنتمينإلىالفكرالإسلاميمثل " البهي" الذيوجدنفسهينخرطفيصراعأيديولوجييرىفيهدفاعاعنالإسلاموعنقيمهوأفكاره.
ولقدوجدتآراءهوآراءالفئةالتيينتميإليهامنالمفكرينالإسلاميينصدىواسعاحينماكانالصراعالأيديولوجيمتصاعدا،لكنمعالوقتاختفت حدةهذاالصراع
وفقدتبريقهاوأصبحتإلىحدبعيدلاتستجيبفيكلجوانبهاللمناهجالمعاصرةفيالبحث،ولاتنفتحعلىمجالاتمهمةفيالتحليلتتعلقبأبعادت تعدىالبعدالدينيفيالنقد.(الميلاد 2007)

4.منالنقدالدينيإلىالنقدالسياسي للاستشراقلدى أنور عبد الملك

فيبداية الستينيات، حدثتحولفيأسلوبتعاملالباحثينالعربمعالاستشراق، حيثظهرنوعآخرمنالنقدلاتحركهالدوافعالدينية، إذليكنأصح ابهمنالإحيائيينالإسلاميين، بلكانمنهممفكرونمنغيرالمسلمين، سلكوأسلوباجديدافيالنقد، يأخذطابعاسياسياحضاريا، ويهدفإلىف ضحالأهدافالسياسيةوالثقافيةالتيتحركأعمالالمستشرقين، منأبرزهمالمفكرالمصريالقبطي " أنورعبدالملك" (1924-2012)، الذيكتبمقالافيمجلة"ديوجين"الفرنسيةبعنوان " الاستشراقفيأزمة" سنة 1963م، وأحدثهذاالمقالضجةواسعةفيأوساطالمستشرقين، ثمأصبحلاحقاواحدامنأهممصادرنقدالاستشراق، وذلكلأنّهأشارفيهإ لىأنّهناكصلةوثيقةبينالاستشراقوالاستعماروالإمبريالية.

لقد مهّد الاستشراق كما يرى "أنور عبد الملك"الطريقللاستعمارالغربيوسهل مهمتهفياستغلالشعوبالشرقوالسيطرةعليها، وذلكسواءمنخلالالفلاسفةوعلماءالآثاروالأديان، أومنخلالالجامعيينورجالالأعمال والعسكريينوموظفيالإرسالياتوالمغامرين...

وظلالاستشراقلعقودطويلةيشتغللهذهالأغراضوبأساليبهالتقليديةإلىأنحدثتتطوراتتاريخيةوسياسيةوفيميدانالعلومالاجتماعية، أدتإ لىمراجعاتللاستشراق، منطرفدوائرالاستشراقذاتها، علىمستوىالمفهوموالأدواتوالمنهج.

تمثلتهذهالتطوراتفيالتغيرعلىمستوىعلاقاتالقوىالعالميةوفيانتصارحركاتالتحررفيآسياوأفريقيا(الملك 2005، 419)وهذامااعترفبهلاحقا خلالمؤتمرالمستشرقينالدوليالتاسعوالعشرونالذيانعقدفيالعاصمةالفرنسيةباريسسنة 1973م، معلناعنأزمةيعيشهاالاستشراقدفعتهإلىتغييراسمهإلىالمؤتمرالعالميللدراساتحولآسياوشمالأفريقيا". (المطبقاني 2000، 285)وهذامايعتبرمثابةولادةالاستشراقالجديدكمايطلقعليهفيالدراساتالمتعلقةبالموضوع.

ولقدكشفأنورعبدالملكبصورةواضحةنزعةالاستعلاءوالسيطرةالتييتحركوفقهاالاستشراق، وذلكبفضحهلثلاثعيوبأساسيةطبعتتعام لهمعالشرق، هي:

أولا:

أنالاستشراقيعملوفقنظرةجوهرانية، تنظرإلىالشرقكآخرمختلفتابعومنزوعالسيادةعلىذاته، أوبصورةأخربكذاتتاريخيةغيرنشطةتفتقرإلى المبادرة، وبناءعلىذلكلايمكنالاعترافبهإلاكموضوعللدراسة.

يقابلهذهالذاتالغربيةالحاملة، ذاتغربيةنشطة، تمتلكزمامالمبادرةالتاريخية، فيمحاولةمنه(أيالاستشراق) لنفيأيعلاقةللغربالمستعمربمشكلةالتخلففيدولالشرقوإظهارهاكسنةثابتةلايمكنالحيدةعنها.

ثانيا:

أنالاستشراقيركزوفقنزعةتاريخانيةعلىماضيالأممالشرقيةكميدانللدراسةبمختلفجوانبهاللغويةوالثقافيةوالدينية، باعتبارهاحضاراتميتة منفصلةتماماعنورثتهاالمعاصرين، وإغفالالمعطياتالاجتماعيةوالسياسيةوالاقتصادية، أيدراسةالماضيكبنيةمغلقةثابتةليتمإسقاطهعلى الحاضركامتدادلهازدهاراأوتخلفا، لكنالحاضرفيهذهالحالةسوفلنيرثإلاالعناصرالسلبيةالتيتؤكدعلىتخلفالشرقكحقيقةتكوينية، وتتجاه لدورالاستعمارفيحالةالتخلفالتيتعيشهاكثيرمنأممالشرق.

ثالثا: أنالمصادرالتييعتمدعليهاالاستشراقفيدراستهللشرقعبارةعنفائضمنمواد (مخطوطات،تحف،آثار...) احتكرهاالغربعبرالسلبوالنهبالمستمرينلمستعمراته،ومنعهاعنالباحثينمنالشرقخاصةمنهمالمنحدرينمنالدولالعربيةالذينيعتمدونفيدر اساتهممضطرينعلىمصادرثانويةتنقصمنقيمةأبحاثهم.

هذاإضافةإلىاعتمادالمستشرقينالتقليدينفيالغربتقاريرالإداريينوالإرسالياتالدينيةوكتاباتالرحالة .. الخ،وهيكلهاتصدرعندوائراستعماريةبخصوصالشرق،وبالتاليهيلاتصلحكمادةللبحثالموضوعيلارتهانهالتحيزاتأيديولوجيةوعنصري ةإزاءالشرق.(الملك 2005، 422،423)

بناءعلىهذهالمعطيات،ونظراللتحولاتالسياسيةوالاجتماعيةالتيذكرناهاسابقا،يرأنورعبدالملكأنهأصبحمنالضروريإعادةالنظرفيالج سدالكليللاستشراق،لكنارتهانهلمسلماتهالتقليديةحالدونذلك،وهذاماأدىإلىولادةالاستشراقالجديد،ويقصدبذلكالاستشراقالج ديدفيأوروباالغربية،والاستشراقالجديدفيالقطاعالاشتراكيمنالعالم،لكنهيرأنّالاستشراقالجديدفيأوروباالغربية،بدأفيالاعتمادعلىعلما ءمتخصصينفيالعلومالاجتماعية،وتحولمنالفيلولوجياإلىالدراساتالمناطقباعتبارالشرقلايشكلكلاساكناكماكانالتعاملمعهفيالاستشر اقالتقليدي.

لكنمايعيبالاستشراقالجديدفيأوروباالغربيةأنهجندنوعيةجديدةمنالدارسينلاتملكخبرةكافيةبالشرق،حتوإنكانوايمتلكونمواهبتتسم بالمنطقيةوالعقلانيةمنحتهمقدرةعلىالتأثيرفيأوساطالمثقفينفيالشرق.

ومايعيبهأيضاأنهلازالرهنالتصوراتالاستشراقالتقليديتجاهالشرقوالشرقيين،حيثبقيالتعاملمعالشرقكذاتمعدومةالاستقلاليةالذاتية،و هذامايفرضبالضرورةوصايةالغربالمعرفيةعليها،ويؤكدعلىأنالاستشراقالجديدفيأوروباالغربيةماهوإلامحاولةلتحديثالاستشراقالتقليديمن حيثالأساليبمعالمحافظةعلىغاياتهوأهدافهالأولى.

أماالاستشراقالجديدفيالقطاعالاشتراكيمنالعالم،والذينشأفيأحضانالاتحادالسوفييتي،فيري " أنورعبدالملك" أنّأهممايميزهرفضهلغةالتعاليالثقافيالتيطبعتنظرةالاستشراقالغربيتجاهالشعوبالشرق،وتعاملهمعالشرقكذاتمستقلةعلىمستوىالعلموالت اريخوالثقافةوالاقتصاد،تملكالقدرةعلىالإبداعالحضارينافيعنهاالتخلفكصفةتكوينية.

لقدانصرفهذاالاستشراقعنالاهتمامالتقليديباللغةوالاقتصارعلىدراسةعاداتوتقاليدالشعوبالشرقية،كماأعطىالأولويةللحاضرفاهتم بمشكلاتالشرقالمعاصرة.

إلاأنهذاالنوعمنالاستشراقيفتقرإلىالمصادروالموادالبحثيةمقارنةبماهومتاحللاستشراقالجديدفيأوروباالغربية،إلاأنهحاولتعويضهذاالنق صمنخلالالتعاونمعالدولالناميةوالاهتمامبالأبحاثالتيتصدرعنباحثينمنهذهالدول.(الملك 2005، 444،449)

إنّ " أنورعبدالملك" يبديإعجاباواضحابالاستشراقالاشتراكيرغممايعترضهمنصعوبات،وهوإعجابمبررنسبةإلىالأسبابالتياستندعليها،وذكرناهاسابقا، لكنهذاالإعجابيفصحفيالوقتذاتهعنأيديولوجيةماركسيةواضحةلديه،تغفلأنالمستشرقينمنالقطاعالاشتراكيمنالعالمقديتحركونوفق مصالحخاصةتخدمانتماءاتهمالحضاريةوالسياسيةمثلهممثلأقرانهممنالمستشرقينمنأوروباالغربية،خاصةوأنهذاالاختلافبينالاستشراق ينيقومبصورةواضحةعلىصراعالقطبينالشرقي (الاتحادالسوفييتي) والغربيممثلافيأمريكاوأوروباالغربية.

هذاإضافةإلىالتراجعالذيعرفهالاستشراقالاشتراكيمقارنةبنظيرهالغربيخاصةبعدانهيارالاتحادالسوفييتي.(الزواوي 2015،

136)، كما أنه من الملاحظ أيضا على النقد الذي يوجهه أنور عبد الملك للاستشراق يتجاهل وجود أي دراسة من قبل مستشرقين من القطاع الأوربي الغربي أو من الولايات المتحدة الأمريكية تتناول الثقافة والحضارة الإسلامية بعيدا عن أغراض الهيمنة والسيطرة، وهذا ما يكشف ويؤكد أيديولوجيته الماركسية الواضحة التي تطبع جل مواقفه وكتاباته.

في هذا الاتجاه، وجدت الانتقاداتالتيوجههاأنورعبدالملككللاستشراقاستجابةمنقبلالمستشرقالإيطالي " فرانسيسكوغابرييلي" الذيكتبمقالةبعنوان "دفاعاعنالاستشراق" ضمنمجلةديوجينالفرنسيةفيعددهاالخمسينسنة 1965م،وهيالمجلةذاتهاالتينشرفيها "أنورعبدالملك" مقالته " الاستشراقفيأزمة" اعتبرفيهاحجة " أنورعبدالملك" بأنالاستشراقتعاونمعالاستعماررادعاءمبالغافيه،واتهمهبالتعميم،حيثدافععنمساهمةالاستشراقالكبيرةفياستكشافالحضاراتالشرقيةال قديمة،ورأىأنهعملالرغممنأنهذهالمساهمةقدساعدتالغربفيالسيطرةعلىالشرقواستغلاله،وأنبعضالمستشرقينكانوافعلامنأعوانالاستعما روأعوانه،إلاأنهمنالإنصافعدمتعميمهذاالحكمعلىكلأبحاثالمستشرقين،فمنالمستشرقينخاصةالكبارمنهم،مناستطاعالفصلبينالأه دافالعلميةوسياساتبلدانهم،ولكنهاجهودلاتحظىبالامتنانمنجانبأولئكالذينينتمونإلىالحضارةالعربيةالإسلامية،علىوجهالتحديدمنه م،الباحثونالعربالذينتصدرعنهماتهاماتقاسيةضدالاستشراق على غرار "أنور عبد الملك". (A.L.Macfie 2002, 103.104)

وخصص كذلك المستشرق الفرنسي الماركسي "مكسيم رودنسون" عدة مقالات دفاعا عن الاستشراق إزاء منتقديه منها ما تضمن ردودا على اتهامات "أنور عبد الملك" أعتبر فيها أن مفكرين مثل "أنور عبد الملك" و "إدوارد سعيد" حملوا لفظة الاستشراق حمولة أيديولوجية خاصة حينما استخدموها في سياق غير مرغوب فيه يجرد الاستشراق من الموضوعية وينزع عنه كل المكاسب والإسهامات التي حققها، ولذلك فإنه يرى أنه لا ينبغي أن توضع كل أعمال المستشرقين في سلة واحدة، فضلا عن هذا النقد الموجه للاستشراق يفتقر إلى الأصالة والوضوح والاتساق إذ ينتقد كل من "أنور عبد الملك" و"إدوارد سعيد" من خلال مفكرين غربيين، بل إنّ "رودنسون" يرجع نقد "أنور عبد الملك" للاستشراق إلى دوافع شخصية حيث يراه يقف موقف الناقم لأنه لم يحظ بما يكفي بالمكانة التي كان يطمح إليها في الغرب (الشيخ 1999، 36،42)

وفي دفاعه عن اسهامات الاستشراق وفضلهم على الباحثين العرب والمسلمين، كتب المستشرق الفرنسي "كلود كاهين" ردا على مقالة "أنور عبد الملك" "الاستشراق في أزمة" يقول فيه:
«ولكنينبغيأنيعرفوأيضاًأنالاستشراقالأوروبيهوالذيأخذالمبادرةفيالعصورالحديثةلدراسةتاريخهمالخاص،وأنهلولاهلكانواعاجزينعنأني قولواعنماضيهمنصفمايستطيعونقولهاليومبطريقتهمالخاص،فنحنلانزالنمتلكحتىالآنالميزةالمتفوقةالتالية،إنناقادرونعلىالاهتمامبتار يخكلشعوبالعالموليسبتاريخناالخاص.»(صالح 2000، 35،38)

ورغم هذه الردود والانتقادات من داخل حقل الاستشراق نفسه، فإن يمكن القول أنّ النقد الذيوجهه"أنورعبدالملك"للاستشراقأحدث تحولا نحوالبحثفيخلفياتالاستشراقالسياسيةالاستعمارية،وربطربطامباشرابينالمعرفةوالهيمنة،ولعلأهممايميز " أنورعبدالملك" كناقدللاستشراقهووطائفةمنالباحثينالذينسيأتونبعدهوعلىرأسهم " إدواردسعيد"

هومعرفتهمالواسعةبالثقافةوبالمناهجالغربيةفيالبحثإذاماقورنوابأصحابالخلفيةالدينيةفينقدالاستشراق، كماأنخطابهممموجهبالدرجةالأولىللقارئالغربيعامةوالفرنسيخاصة، حيثلمتترجممقالة " أنورعبدالملك" " الاستشراقفيأزمة" إلىالعربيةإلابعدسنواتطويلةمننشرها، وتمتداولهاومناقشتهاتحليلاونقدافيالأوساطالغربيةأكثرمماحدثلدىالقارئالعربيقبلأنتتمترجمتها إضافةإلىأن " أنورعبدالملك" إذينطلقمنخلفيةماركسيةتفصحعنهاالمصطلحاتالمبثوثةفيكاملصفحاتمقاله، وفيكاملكتبهالأخرى، يفتقرإلىالدرايةالكافيةبالتراثالإسلاميالذييتحكمأصحابالنقدالدينيللاستشراقأمثالمحمدالبهيفيمناهجهويملكونمعرفةواسعةبموضوعاته، وهذامايفسرانصرافهإلىالطالبحثفيمناهجوأغراضالاستشراقالسياسيةلاالاهتمامبالردودعلىالمستشرقينوآراءهموتفنيدشبهاتالاستشراقحولالإسلامكمافعلهؤلاء ،خاصةوأنهكمفكرقبطيمصريبتفاعلمعالإسلامفيسياقسياسيحضاريضمنمشروعه.

5.موقف حسن حنفي الحضاري من الاستشراق

يعلنالمفكرالمصري " حسنحنفي" (1935-2020) صاحبمشروع " التراثوالتجديد" بوضوحأنهيقومبمهمةحضاريةتسعىإلىالخروجمنلحظةالتخلفوالترديالحضاريالتيتعيشهاأمته، والمساهمةفينهضتهاوتقدمهافكراوواقعا ووطنا. حيثطرحالبيانالنظريلمشروعهضمنثلاثةمحاورتحددأبعادموقفناالحضاريوتعالجمواطنالتأزمفيه الأول "موقفنامنالتراثالقديم"،والثانيهو "موقفنامنالتراثالغربي"،أماالمحورالأخيرفجاءبعنوان "نظريةالتفسير".

تتمثلالأزمةفي موقفنا
منالتراثالقديمفيتكرارآراءالمستشرقينحولقصوره، دوناعتبارلمسؤوليتنافيقراءتهوتفسيرهوتأويلهوفهمهبصورةترتقيإلىمسؤوليةالقدماءال ذينأبدعوه، وفقاختياراتبديلةتراعيالظروفالجديدةالتينعيشهااليوم، وتنأبناعنحالةالانقساماليتيتشهدهاالأمةفيصلتهابالتراث، بينالق طيعةالتامةالتيلاترىفيالتراثأيعنصرإيجابيفترفضهبالجملةوتنساقوراءالتغريب، وبينالاتصالوالوصالالتاماليذيبرفيالتراثكلشيءفيرفضك ردفعلعنالتغريبالمعاصرةكلها.(حنفي 1987، 13)

أمافيما يخص الموقف منالتراثالغربي، فإنّ "حسن حنفي" يرى أنّ الأزمة تكمن فيدراسة المفكرين العرب للفلسفاتالغربيةدوناعتبارلكونهاوليدةبيئةوظروفخاصةساهمتفيتكوينهاضمنالسياقالغربي، وهذا ما نتج عنه انقسام حاد في الموقف من هذه الفلسفات والمذاهب الغربية قبولا أو رفضا، فيقول في ذلك أنه: « لما تشتت المذاهب وتباينت الآراء وقعت الحيرة في الاختيار، هذا مثالي، وذاك واقعي، هذا عقلي وذلك حسي، فالمحافظون يختارون المثالية والتقدميون يختارون الواقعية، وينشأ الخلاف بيننا ... وفي حقيقة الأمر فإن المذاهب الغربية وليدة بيئتها. »(حنفي 1987، 15)، أي أن هذا الانقسام حول الموقف من المذاهب والفلسفات الغربية ناتج عن أحكام اختزالية تتجاهل أن هذه الفلسفات والمذاهب كغيرها من الفلسفات الأخرى لها مراحل بداية وتطور ونهاية، فتجتثها من أصولها، وتهمل العوامل النفسية والاجتماعية والدينية والسياسية والمواقف الحضارية التي أدت إلى ظهورها وتطورها.

ويرى "حسن حنفي" أنّ أزمتنا الحضارية لا تتوقف على الموقف من التراث القديم، أو الموقف من التراث الغربي، بل إنه نتيجة لهذين الموقفينتمتإزاحةالموقفمنالواقعمنالحساب، فعدمالالتزامبالواقعنتيجةإمالأسبابتكمنفيالتراث

(أولويةالنص)،أوفيالنقلعنالغربواجتثاثالمعرفةعنبيئتها،وإمالظرفالعصروضرورةالعيشفيظروفالقهر، وهذا ما أدى إلى غياب الفلسفة التي تستجيب لمعطيات الواقع وتنظر له تنظيرا مباشرا. (حنفي 1987، 18)، وهذا يعني أن الموقف الذي يرى في التراث كل شيء، يسهب أصحابه في شرح النصوص القديمة من جهة ويستخدمونها كغطاء نظري يجيبون به عن كل أسئلة الواقع من جهة أخرى، ويفسرون من خلالها كل قضاياه المباشرة فيسقطون من اعتبارهم معطيات العصر، ويقدمون حلول نمطية غير فعالة لمشكلات مجتمعهم وتطلعاته. أما الموقف الثاني الذي ينقل عن فلسفات الغرب، فإنه يحاول إسقاط موضوعاتها ومناهجهاعلى الواقع المباشر لمجتمعه، ويجيب بها عن قضاياه ومشكلاته، دون مراعاة لخصوصية هذه الفلسفات أو نظر في أصولها وردها إلى بيئتها. وهكذا فإن كل الموقفين غاب فيهما الإبداع الذي يجب أن يتسم به المفكر القادر على اتخاذ المواقف المناسبة لواقعه وعصره وظروف مجتمعه.

إنّمشروع " التراثوالتجديد"إذن، يتحرك مستهدفاعلاجالأزمةالحضارية التي يعيشها العالم العربي والإسلاميوالخطالناظملهوالموقفمنالجدلبينالأناوالآخر،النظرفيصورةالأناوصورةالآخرمنحيثالوضوحوالغموض،الدقةوالشمول،ا لكفايةوالنقص،السلبوالإيجاب،فالآخرحاضرفيوعيالأناويشكللهتحديامنذعقودطويلة،ومن هنا فإن "حسن حنفي" يعتقدأنكثيرامنالمثقفينالعربتأثروانتيجةالتفاعلوالجدلالمستمرمعالغربجملةمنالمفاهيمالغربيةالتيانعكستعلىرؤيتهملمختلفالق ضاياوالمشكلات،وعلىتصوراتهمللذاتوالعالمالمنحولهم. مرّتولاتزالهذهالمفاهيمعبرعدةقنوات،هي: التغريب،والاستشراق،والمركزيةالغربية.

إنّ "حسن حنفي" يرى بأنّ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1897م شكّلت منعطفا تاريخيا للوعي العربي الإسلاميحيث أصبح الغرب يمثل بالنسبة له تحديا حضاريا علما ونهضة وتقدما، وهذا ما أدى إلى الانفتاح عليه، وهو أمر مبرر كما يرى "حسن حنفي"، إلا أنّ هذا الانفتاح أدى إلى نشوء ظاهرة سلبية، هي ظاهرة التغريب، التي شكلت تهديدا لخصوصيتنا الثقافية، وهي ظاهرة تجعل من الغرب **"نموذجافيالفكروالحياةاليوميةفيالثقافةواللغةواللباسوالمنظور"**.(حنفي 2012، 33)،وكل ذلك ناتج عن اكتشاف تلك الفجوة الحضارية التي باتت تفصل الشرق عن الغرب في أساليب التعليم ونظم الهندسة والبناء، وفي أساليب السياسة والإدارة، وفي الفنون والمسرح وأشكال الزي والملابس... الخ، وهي في أغلبها أنماط جديدة من الثقافة الغربية كان لها أثرها على الثقافة العربية سواء كان مباشرا أو غير مباشر، سواء على مستوى الحكام أو في وعي المفكرين، أو عامة الشعب.

لقد كان مفكرون مثل "سلامة موسى" و"طه حسين" كما يرى "حسن حنفي" من أهم دعاة التغريب في العالم العربيإذ طالب كل منهما بالارتماء في أحضان الغرب كليا، بينما تبنى غيرهم مناهج الغربوطبقوها في قراءتهم للتراث الإسلامي،ماترتبعنهجملةمنالقراءاتالاختزاليةلتراثالآخرومناهجه،والنظرإلىتراثنافيمرآته،وهذا ما عمّقمركبالنقصإزاءهباعتبارهالملاذالوحيدللتجديدبطرائقهومناهجهوأساليبه.(حنفي 1991، 33)، وقد نتج عن أطروحات هؤلاء المفكرين في المقابل ظهور تيار مضاد يرفض القراءات المعاصرة للتراث، وذلك بدعوى أنّ التراثاستوعبكلمايمكنأنتقدمهالتياراتالمعاصرة،ويزيد موقف هذا التيار حدةعندمايرفضالغرب جملة وتفصيلاوهذاماقديقف—

حسب حنفي- عائقاأمامإمكانالاستفادةمنأيعناصرإيجابيةمحتملةفيالفكرالغربي.(حنفي 1983، 63،64)أي أنّ حضور الآخر في وعي الأنا بأنماطه وأساليبه وفلسفاته نتج عنه موقفان يقفان على طرفي نقيض مما خلق حالة من التشظي في هذا الوعي وحالة من الصراع التي تطبع الفكر العربي إلى يومنا الحالي.

ويعتقد "حسن حنفي" أنّ الآخر (الغرب) حضر في ثقافتنا كذلك من خلال
تأثرمفكرينعربيمايصدرعنالاستشراقمنآراءوأفكارحولالتراثوالدينوالثقافةالعربيةوالإسلامية،وهي آراء يرى
أنهاتصدرعننعرةعلميةتنكشفيتعاملهممعالتراثوفقمناهجمثل؛المنهجالتاريخي،المنهجالتحليلي،المنهجالإسقاطي،منهجالأثروال تأثر،وهيمناهجتصدرعنباحثينمنخارجدائرةالحضارةالإسلاميةمنفصلونعنتراثها،يردونكلالظواهرإلىوقائعتاريخية،وهومادرجواعلي هفيالبيئةالتيينتمونإليها،فانعكسذلكعلىدراستهمللتراثالإسلامي،مثل:

- الرصدالموضوعيالوضعيللظاهرةالمدروسةدونتنقيبعنالأصولفيالوعيوالشعور،فيخلو هذا
الرصدمنأيتفسيرأوفهمأوتأويلأوبحثعندلالةأوتعرفعلىقانون،وينسبالأفكارإلىعللتاريخيةأواجتماعيةأوسياسية،وإلىأماكنأوأشخاص، وبذلك يفرغالأفكارمنمحتواهاالمثاليالشعوري،ويقضيعلىوحدتهاواستقلالها.

- ردالظاهرةإلىعناصرأولية،مماقديؤديإلىجعلالظاهرةأجزاءغيرمتجانسةتمهيداللقضاءعليها(حنفي 1991، 85،88)

- استبدالالظاهرةالمدروسةبظواهرأخربهيفي حقيقتها أشكالاالأبنيةالنظريةالموجودةفيذهنالمستشرق،أي
أنهيسقطانطباعاتهوصورهالذهنيةعلىالظاهرةمحاولةلتفسيرهاوفهمها،إيمانابأنثقافةالمستشرقهينموذجالثقافاتالأوحدوأنهينتميإلىح ضارةهيمركزالعالم،يمكنإسقاطتجاربهاومفاهيمهاعلىبقيةالحضاراتدونمراعاةلخصوصيتها.

-

إحالةالظاهرةإلىحضاراتوأجناسوأديانأخرىسابقةأومجاورةدونأيمنطقسابق،بلفقطلمجردظهورتشابهبينالحضارتينأوالظاهرتين،مثلا لادعاءأنّالفلسفةالإسلاميةفلسفةيونانيةمقنعة،وأنهامجردترديدخاطئلماقالهاليونان،صادرعنسوءفهموخلطتاريخي،وهذاناتجعنان تماءالمستشرقإلىحضارةمتمركزةحولذاتها،تنزعإلىالسيطرةعلىالشعوبالأخربوالهيمنةعلىمقدراتها.(حنفي 1991، 89،91)

ويرى "حسن حنفي" أنّ
هذهالنعرةالعلميةالتيتطبعأبحاثالمستشرقين،تغذيهانزعةمركزيةغربيةلدىالغربقامتعلىتثبيتمجموعةمنالصفاتوالخصائصباعتبارهاركائز أساسيةتشكلهويته،ثمقسمتالعالمعلىأساسهاقسمةثنائية (برابرة/ متحضرون)، (تخلف/ تقدم)... الخ. ويعتقدهذا الأخيرأنالغربتمكنمنخلالماتوفرلديهمنأدواتتوجيه (الإعلام،دورالنشر،مراكزالبحث،الاستخبارات...) أنيسوقأسطورةثقافتهالعالمية،التيرهنتجميعثقافاتالشعوبالأخربوتجاربهاالذاتية،حينأصبحتهيالمعيارالأوحدللحداثة(حنفي 1991، 51)وهكذاأصبحتالعلاقةبينالغربوبقيةالشعوب (الشرق) علاقةمركزبالأطراف،أومعلمأبديبتلميذأبدي.(حنفي 1987، 32)

إنّ "حسن حنفي" يقترح لمواجهةدعواتالتغريب،وتأثيرأفكارالمستشرقين،وادعاءاتالمركزيةالغربية،تأسيس "علمالاستغراب"، وهو العنوان الذي يطلقه على موضوعالجبهةالثانيةمنمشروعهالحضاري " التراثوالتجديد"،ويعرف الاستغرابأنه : "الوجهالآخروالمقابلبلوالنقيضمنالاستشراق".(حنفي 1991، 29)

يريدمنخلالهمواجهةالاستشراق،بأنتصبحالذات (الأنا) دارسةبعدأنكانتمدروسة،ويصبحالآخرموضوعاللدراسةبعدأنكاندارسا،وبهذاالمعنيكونالاستغرابهودراسةالشرقللغرب، كماكانا لاستشراقهودراسةالغربللشرق،لكنالاستغرابلايهدفإلىالسيطرةعلىالآخرالغربي،وإنماالهدفمنهمعرفةالآخرللتحررمنسيطرتهوتصحي حصورتهوصورةالذاتفيوعيالأنا (الشرق).(حنفي 1991، 32)

ومن هنا يتضح أن "حسن حنفي" يحاول أن يميز مفهوم الاستغراب عن التغريب الذي يختلف في معناه عن التغريب وإن كان يتشارك معه في جذر الكلمة في القواميس العربية، أو في اللفظ ذاته عند بعض الكتاب، فهو يعني به طلب الغرب لمعرفته وبيان حدوده وليس الركض خلف مؤثرات الثقافة الغربية، وكذلك يريد كما يبدو تبرئته من نزعة السيطرة التي تطبع دراسات المستشرقين –كما يصفها– أو موقف الرفض المطلق الذي يقابلها لدى مفكرين عرب من الرافضين للثقافة الغربية رفضا مطلقا، فهو وإن كان ردا على الاستشراق، فإنه يحذو الموضوعية ويستهدف البحث عن حقيقة الآخر لا كما يقدمها هو، وإنما من مرآة الأنا الحضارية لا من خلال مرآته.

والاستغرابيهدف إلى
مواجهالمركزيةالغربيةبردالغربإلىحدودهاالطبيعيةوالقضاءعلىأسطورةثقافتهالعالمية،وبيانمحليتهاكأيثقافةأخرى،والخروجمنالعلاقة (مركز/هامش) إلىعلاقةمتكافئةبينالشرقوالغرب.(حنفي 1991، 92)أي أن الخروج من العلاقة أحادية الطرف التي ترى في الغرب معلما دائما، وفي الشرق تلميذا دائما، فدراسة الثقافة الغربية نشأة وتكوينا وتوسم مآل الوعي الغربي نهاية، يقضي على فكرة عالمية الثقافة الغربية التي يبشر بها المفكرون الغربيون أو دعاة التغريب كما يصفهم "حسن حنفي" ويردها إلى حدودها الطبيعية.

إنّ هذه المهام التي يضطلع بها "علم الاستغراب" كما حددها "حسن حنفي" تمثل الجانب النظري من الجبهة الثانية في مشروع "التراث والتجديد"، أما في الجانب التطبيقي من هذه الجبهة،
فإنهيشتغلعلىدراسةتحولاتالوعيالأوربيبناءوتشكلاومصيرا،لبيانحدودهوتأكيدمحليته،ثمبيانتحولالمبادرةالحضاريةمنيدالشرقإلىالغرب . لكنهذه المحاولةمن " حسنحنفي"
تثيرأسئلةحولإمكانقياماالاستغرابوقدرتهعلىتحقيقهذهالأهدافالتيأعلنهاوقبلذلكعنإمكانالقيامبدراسةالغربدونتحيزللذات

فدعوى " حسنحنفي"
قراءةالآخروفهمهبعيداعننزعتهالسلطويةالمركزية،تصطدمبرغبتهوفيالسيطرةعلىالآخروالتخلصمنهوهذامايظهرفيقوله«... هدفناكانوضعالوعيالأوربيبدلامنتركهمطلقالسراحيصولويجولكيفماشاءفيسجنكبيرومذاهبهفيزنازينمتجاورة.». (حنفي

1991، 787)، وفي هذا التصريح ما يناقض دعواه بطلب المعرفة الصحيحة بالشرق وبيان حدوده بكل موضوعية بعيدا عن موقف الرفض المتشنج.

كماأنّهناكمنيقللمنشأنقراءتهللوعيالغربيويرأنهالاتقدمأيجديد،بلإنهيكاديكونمطابقالدراساتأخريفيالفكرالغربيسواءمنكتابغربأوعرب.(أمين 1997، 169،170)خاصة وأن "حسن حنفي" يقرأ الوعي الأوربي من خلال مرآته، من خلال ما يقوله هو عن ذاته، حيث يقول: «ولا يعني ربط الحضارة الأوروبية ببيئتها تطبيق مذهب وضعي أو منهج اجتماعي بل تقريرا لواقع من كتابات المفكرين أنفسهم واعترافاهم». (حنفي 1991، 37)، وبذلك هو يتعامل مع الآخر ويقرأ ثقافته من خلال أدواته، وهذا ما يجعل قراءته مطابقة في كثير من تصوراتها واستنتاجاتها لقراءات المفكرين الغربيين وموافقة لآرائهم حول حضارتهم.

ولوقارنإمكانياتالاستغراببإمكانياتالاستشراق،لوجدنأنالاستشراقتوافرتلديهالإمكانياتوالوسائلالمنهجيةوالماديةوتضافرتلأجله جهودالباحثينكأفرادوالمؤسسات،خلافالاستغرابالذيهوإلياليوميعبرعنجهودفرديةتفتقرإلىالإمكانياتالمناسبةويغيبعنهاالدعمالمؤسسيإلافيماندر. لكنرغمكلذلك،يبقىمشروعالاستغرابيعبرعنتحولواضحفيطرقالتعاملمعالاستشراقفيالفكرالعربيفهو:

- يقدمقراءةلحضورالآخرفيوعيالأنامنذصدمةالحداثة.
- يفككخطابالاستشراقوالتمركزالغربي.
- يقدمبديلاحضاريللاستشراق.
- يقدممحاولةلقراءةوعيالآخرمنحيثالمصادر،المراحل،والمصير.

6.خاتمة:

بناء على دراستنا للنماذج السابقة لتعامل المفكرين العرب مع الاستشراق وإنتاجه، يمكن الخروج بالنتائج التالية

-

أنّنقدالمفكرينالعربللاستشراقلميكنعلىصورةواحدة،وإنمااختلفحسبالمرجعياتالتيتحرّككلواحدمنهؤلاء،فأصحابالمرجعيةالدينيةمنا لإحيائيينالإسلاميينحملواهمالدفاععنالهويةالثقافية،ولذلكارتبطالاستشراقلديهمبالتبشيروالتغريب،والمفكرونأصحابالخلفيةالسيا سيةأخضعواالاستشراقلتصوراتهمحولالصراعالدولي
(شرق/غرب)،فاشتغلواعلىقضاياالهيمنةوالتمركزالغربي،وفيحالةمتقدمةحاولمفكرونآخرونعلىبعثمشاريعتعملعلىاسترجاعالمبادرةا لحضاريةمنجديد.

- أن " محمدالبهي"

وأقرانهمنالإحيائيينالإسلاميين،يتخذونموقفامتشنجامنالاستشراق،وهذاراجعلطبيعةالمرحلةالتيعاشوافيها،والتيشهدتتدافعالكثيرم

نالأفكاروالأطروحاتالغربيةإلىالساحةالثقافيةالعربية،سواءمنخلالالكتاباتالمستشرقينأومنخلالمفكرينعربمتأثرينبهم،وهيأفكاروآراءتتع لقبقضاياياراهاأمثال "محمدالبهي" تهديداللقيموالهويةالإسلامية.

- أنموقف " محمدالبهي"

هوموقفنقديدفاعي،يأتيعلىمستويين؛مستوىالنقدالخارجي،أينقدآراءالمستشرقينوالردعليها،ومستوىالنقدالداخلي،بمواجهةالمفكري نالمتأثرينبهذهالآراءوالمروجينلهافيالساحةالثقافيةالعربية.

- أننقد " محمدالبهي"

والمفكرينعلىشاكلتهللاستشراق،يجعلمنالسببالديني،هوالدافعالرئيسيلعملالاستشراق،وحتىإنظهرتدوافعأخرىسياسيةأواقتصادية أوعلمية،فإنهاخادمةلهوخاضعةلأغراضهونواياه.

- العملالذيقدمه " أنورعبدالملك"

كشفعنأزمةالاستشراقالتقليدي،واستمرارالاستشراقالجديدفيالقطاعالرأسماليفيخدمةذاتالأغراضالتيحركتالاستشراقالتقليدي

- أنالتكوينالمنهجيوالسياسيالذييتميزبه " أنورعبدالملك"

جعلهيكشفأوجهالقصور،وصورالتحيزوالنزوعإلىالهيمنةالتيتطبعتصوراتالاستشراقحولالشرقوالشرقيين.

- لايخلوموقف " أنورعبدالملك"

مندوافعأيديولوجيةفينقدالاستشراق،جعلتهيثنيعلىالاستشراقالجديدفيالقطاعالاشتراكي،بلويحصرنقدهفيتبيانأوجهقصورهمننا حيةالإمكانياتالماديةدونالتركيزعلىسلبياتهكمافعلمعالاستشراقالجديدفيالقطاعالرأسمالي.

- أنّ " حسنحنفي" ينتقلبأسلوبالتعاملمعالاستشراقوالمستشرقينمنالدفاعإلىالهجوم،حينمايدعوإلىتأسيس " الاستغراب" كمقابلونقيضللاستشراق،يحاولمنخلالهردالغربالمتمركزعلىذاتهإلىحدودهاالطبيعيةسواءفيوعيالأنا (الشرق) أوالآخر (الغرب). وبالتاليفإنّمايميّزمشروع " حسنحنفي"

هوأنهيقدمبديلاحضاريا،ولايكتفيبالدفاععنالهويةالثقافيةالإسلامية كمافعلالإحيائيونالإسلاميونمثل" محمدالبهي" أوبكشفنزعةالاستعماروالهيمنة كمافعل "أنورعبدالملك".

- أنّمشروع " حسنحنفي"

يأتيفيظلتخلفحضاريكبير،تكادتنعدممعهإمكانياتالتحققوالتجسيد،وأنّمشروعهيتجاوزقدراتهالفردية إلىكونهمشروعايحتاجإلىتضاف رجهودالأفرادوالمؤسساتوالدول. لكنهذالايمنعأنمشروعهيلقىرواجالدىفئاتكبيرةمنالباحثينالعربخاصةمنأصحابالتوجهالإسلامي.

وختاميمكنناالقولأنّالموقفمنالاستشراقكخطابغربيتجاهالشرق،والموقفمنالفكرالغربيعموما،لابدأنيخضعلمعاييرعلميةموضوعية، ولوعيباللحظةالتاريخية،والوضعيةالحضاريةالتينعيشها،حتىنتمكنمنالإفلاتمنتأثيرالنزعاتالأيديولوجية،التيقدتأخذنإلىأحكاممتطرفة نحوالآخروإنتاجهالفكريوالحضاريقبولاأورفضاونستطيعالدخولفيحدلحضاريونحنأكثراقتدار علىذلك

7.قائمة المراجع:

المؤلفات باللغة العربية:

1-الشيخ، أحمد، (1999) ،من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب.، المركز العربي للدراسات الغربية،القاهرة.

2-إدريس، سهيل،(1990)، المنهل. دار العلم للملايين،بيروت.

3-البهي، محمد،(1973)،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،دار الفكر، القاهرة.

4-العالم ،محمود أمين،(1997)، الاستغراب مشروع حسن حنفي الحضاري ضمن جدل الأنا والآخر (قراءات نقدية في فكر حسن حنفي)، مكتبة مدبولي الصغير ، القاهرة.

5-العقيقي، نجيب،(1964)،المستشرقون، دار المعارف، القاهرة.

6-الكيلاني ،شمس الدين،(دت)، الفكر الإسلامي ونقد الاستشراق (الثقافة العربية في القرن العشرين)، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت.

7-النملة، علي ابراهيم،(2013)، الاستشراق بين النقد الجذري أو الادانة، المجلة العربية ، الرياض.

8-بغورة ،الزواوي،(2015)، أنور عبد الملك والموقف النقدي من الاستشراق ضمن الشرق في عيون الغرب،منشورات كلية الآداب جامعة الكويت ، الكويت.

9-حنفي،حسن،(2012)، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

10— دراسات فلسفية،(1987)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

11— قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر،(1983)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

12— مقدمة في علم الاستغراب،(1991)،الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة.

13-عبد الملك، أنور،(2005)، الجدلية الاجتماعية، ترجمة: سامية الجندي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة.

14-غراب ،عبد الحميد،(1990)،رؤية اسلامية للاستشراق، المنتدى الاسلامي، لندن.

15زكريا،فؤاد(2011)، نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة(دراسة في المنهج، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

16- البهي، محمد ،(1981)،الاسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، مكتبة وهبة، القاهرة.

17.الزيادي، محمد فتح الله،(2002)،الاستشراق أهدافه ووسائله،دار قتيبة، دمشق.

18-هاشم ،صالح،(2000)،الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، دار الساقي،بيروت.

باللغة الأجنبية :

1-A.L.Macfie,(2002),orientalism,pearson Education,Great Britain.

المقالات:

1-المطبقاني،مازن،(2000)،هلانتهىالاستشراقحقا،مجلةالشريعةوالدراساتالاسلامية،المجلد 15،العدد 43.

المواقع الكترونية:

1-الميلاد، زكي،(2007)محمدالبهيوالفكرالاسلاميالحديثوصلتهبالاستعمارالغربي، مجلة الكلمة، المجلد14، العدد 54.

http://kalema.net/home/article/view/750(consulté le 04/05/2023)